بسم الله الرحمن الرحيم

الاصطلاحات المتعلقة بتحمّل الحديث

اتخذ كل راو من الرواة طريقة وأسلوب خاص في تعلم وتحمل الحديث وذلك من اجل حفظ وسلامة نقل كلام المعصوم، وهذه الطرق يطلق عليها «طرق تحمل الحديث»، وقد كانت شائعة ومتداولة قبل تدوين الجوامع الحديثية وانتشار نسخها. أما في الوقت الحاضر فليس لها ذلك الرواج السابق. والهدف من دراسة هذه الطرق هو التعرف على كيفية نقل الرواية بين المحدثين وقيمة كل من هذه الطرق؛ لانها ليست جميعها بمنزلة واحدة من حيث الإعتبار فإن لبعض الطرق خصوصية على غيرها. وقد بذل المحدثون الكبار جهوداً كبيرة من أجل الحصول على طرق مأمونة في نقل الرواية، فقاموا برحلات طويلة في سبيل هذا الهدف، لكي يسهل على الأجيال المقبلة الحصول على تلك الروايات.

وفيما يلي نتناول هذه الطرق بترتيب أهميتها:

١. السماع:

إن أفضل وأول طرق التحمل هي طريقة «السماع»، أي سماع أحد الرواة عن شيوخهما. قال الشهيد الثاني في هذا الخصوص: «وهو - أي السماع من الشيخ - أرفع الطرق الواقعة في التحمل عند جمهور المحدثين؛ لأن الشيخ أعرف بوجوه ضبط الحديث وتأديته».[١]

وقد نقل الشيخ الكليني بعض الروايات في الكافي (كتاب «فضل العلم»، باب «رواية الكتب والحديث») التي تؤكد على أهمية سماع الحديث منها: «عن عبد الله بن سنان قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: يجيئني القوم فيستمعون مني حديثكم فأضجر ولا أقوى، قال: فاقرأ عليهم من أوله حديثاً ومن وسطه حديثاً ومن آخره حديثاً».[٢]

---

١. الرعاية في علم الدراية، ص ٢٣١.
٢. الأصول من الكافي، ج ١، ص ٥٢.

ولسماع الحديث مراتب متعددة، منها:

١. سماع الراوي من شيخه وهو يقرأ من كتابه، أو من حفظه.
٢. سماع الراوي من شيخه وأستاذه في جمع من الطلاب، والشيخ يقرأ من كتابه أو من حفظه.
٣. سماع الراوي من الشيخ وهو يقرأ على الآخرين، والراوي حاضر أيضاً أعم من أن تكون قراءة الشيخ من الكتاب أو من الحفظ.

وقد يشير الراوي إلى أعلى مرتبة من السماع، حيث يقول «سمعت فلاناً يقول»، أو «حدثنا فلان يقول» أما لفظ «أخبر» و«قال» فتأتي في مرتبة أدنى من ذلك، ويمكن أن تعطي عبارة «عن فلان» ـ والتي هي مخففة من «أخبر فلان عن فلان» ـ معنى السماع.

٢. القراءة:

وهي عبارة عن قراءة الراوي الحديث أمام شيخه ويعبر عنها بـ«العرض» أيضاً؛ لأن القارئ يعرض على الشيخ ما سمعه من الحديث، قال الشهيد الثاني: «ويسمى عند أكثر القدماء المحدثين: العرض، لأن القارىء يعرضه على الشيخ سواء كانت القراءة من حفظ الراوي أو من كتاب».[٣]

إن قراءة الحديث من حيث المنزلة لها مراتب متعددة، أهمها:

١. قراءة الحديث عن طريق الراوي من كتاب بيده وفي يد الشيخ أيضاً، ومقارنة قراءة الراوي مع قراءة الشيخ، وتأييد هذه القراءة من قبل الشيخ.
٢. قراءة الراوي للأحاديث من كتاب بيده، والشيخ يؤيد ذلك من حفظه ويقر بصحته.
٣. قراءته للأحاديث من حفظه والكتاب في يد الشيخ ثم يقر بصحة ما حفظه.
٤. قراءة الروايات من حفظه واستماع الشيخ من حفظه أيضاً ثم الاقرار بصحته.

وغالباً ما تستخدم الألفاظ التالية للتعبير عن طرق التحمل مثل: «قرأت على فلان»، أو «قرأ عليه وأنا أسمع فأقر الشيخ به»، قال الشهيد الثاني: «في عبارات العرض وهي على مراتب،

٣. الرعاية في علم الدراية، ص ٢٣٧.

الرتبة الأولى: والعبارة عن هذه الطريق أن يقول الراوي إذا اراد رواية ذلك: قرأت على فلان أو قرأ عليه وأنا اسمع فأقر الشيخ به، أي لم يكتف بالقراءة عليه، ولا بعدم إنكاره ولا بإشارته، بل تلفظ بما يقتضي الإقرار بكونه مرويه».

ولو كان هناك شخصاً موثقاً في المجلس وفي يده نسخة، يحفظها الشيخ أيضاً، وأقر هذا الشخص الموثق قراءة الراوي، بالإضافة إلى إقرار الشيخ، فهذا يعني إن هذه القراءة تتمتع بأهمية كبيرة. ولا يشترط رؤية الشيخ في القراءة عليه، بل إن الإطمئنان بالإستماع كافياً.

٣. الإجازة:

وهي سماح الشيخ للراوي بنقل رواياته. والمحدثون غالباً ما يكون لديهم إجازات عن أساتذتهم. ويرى البعض ان الإجازة تأتي في مرتبة أدنى بالنسبة إلى السماع والقراءة، قال العلامة المامقاني: «ففي ترجيح السماع عليها أو العكس أقوال، فالاشهر ترجيحه عليها مطلقاً، لكون السماع أبعد عن الاشتباه من الإجازة... والأقوى عندي هو القول الأول، ضرورة بعد السماع من الشيخ ثم القراءة عليه عن الإشتباه بما لا يوجد مثله في غير المقروء والمسموع منه كما هو ظاهر».[٤]

والإجازة لها مراتب وأقسام؛ لأنها قد تكون بالقول الصريح، أو بالقول غير الصريح، وقد تكون لشخص معين وقد تكون عامة، ثم إنها قد تكون في كتاب خاص، أو لجميع كتب الشيخ. واليك أقسامها:

١. إجازة شخص معين لكتاب معين كأن يقول: أجزتك في كتاب خاص.
٢. إجازة لأفراد معينين في كتاب معين، فيقول: أجزتكم في كتاب خاص.
٣. إجازة لشخص معين في كتب متعددة، كأن يقول: أجزتك جميع مسموعاتي.
٤. الإجازة لأفراد غير معينين في كتاب معيّن، يقول الشيخ: أجزت لكل المسلمين في رواية كتابي.
٥. إجازة لشخص مجهول في كتاب معين مثل: أجزت لمحمد بن علي في كتابي.

وما تزال هذه الطريقة شائعة بين المحدثين في نقل رواية معينة، أو كتاب معين، ويمكن أن

٤. مقباس الهداية في علم الدراية، ج ٣، ص ١١٣، ١١٤.

تكشف كيفية الرواية وشخصية الفرد المجيز والمجاز. ولا يشترط في الإجازة قبول الشخص المجاز.

أما أهم الكتب التي ذكرت إجازات المحدثين فهي:

١. بحار الأنوار، حيث أشار العلامة المجلسي في المجلد ١٠٤. ١٠٧ من كتاب «بحار الانوار» إلى موارد منها.

٢. ذكر الحر العاملي في خاتمة كتابه «وسائل الشيعة» بعض الموارد من هذه الاجازات ضمن بيان طرقه إلى هذه الأحاديث.

٣. المسلسلات في الإجازات، للسيد محمود المرعشي، وهي التي تبين إجازات مشايخ حضرة آية الله المرعشي النجفي.

٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. أشار العلامة أقا بزرگ الطهراني إلى عشرات كتب الإجازات.

٤. المناولة:

وهي أن يضع الأستاذ كتابه المصحح في متناول يد الطالب للإستفادة منه. وهي ضربان: مقرونة بالإجازة ومجرّدة عنها، واختلفوا في جواز رواية الثاني، والظاهر جواز الرواية لحصول العلم بأنها مروية عنه مع إشعارها بالإذن له في الرواية.

٥. الكتابة:

وهو أن يكتب الشيخ بعض الأحاديث بخط يده لاشخاص معينين. والظاهر جواز الرواية بشرط معرفة الخط والأمن من التزوير.

٦. الإعلام:

وهو أن يعلم الشيخ الطالب بأن الحديث الفلاني هو روايتي وسماعي من الشيخ الفلاني. والظاهر جواز الرواية عنه تنزيلا له منزلة القراءة على الشيخ، وهو أشبه بالقسم الرابع غير أنه

لا مناولة فيه.

٧. الوصية:

وهي وصية أحد الشيوخ برواية حديثه بعد موته، أو سفره. وقد جوّز بعض السلف للموصى له روايته عنه؛ لأن فيه نوعا من الإذن وشبهاً إلى العرض والمناولة.

٨. الوجادة:

وهي أن يقف الإنسان على كتاب، أو حديث بخط راويها معاصرا كان له أو لا، ويطمئن بصحتها، ويرويها على هذا الاساس، فلا يجوز أن يروي عنه إلا أن يقول: وجدتُ أو قرأتُ بخط فلان، أو في كتابه، ويجوز العمل به عند حصول الوثوق بأن الكتاب بخطه أو أن الكتاب المطبوع من تأليفه.

وهذه الأقسام في «تحمل الحديث» تصدق في النقل عن الأئمة أيضاً. وأصحاب الأئمة ـ في أغلب الموارد ـ كان لديهم سماع لبعض الأحاديث منهم، وهناك بعض العبارات التي تبين هذه الطريقة (السماع) من التحمل مثل: «قال الصادق»، «عن الصادق»، «سمعت الرضا» «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام»، أو «سألت أبا جعفر»، أو «قلت لأبي عبد الله عليه السلام»، «أخبرني عن أبي الحسن الأول » و....

الحمد لله رب العالمين